﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ [البقرة: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا ذكرَ اللّٰه تعالى أوَّلَ أمرِ الخلق ووسطَهُ وآخرَهُ على وَجْهٍ يُستدَلُّ به على امتناعِ الكُفْرِ به سبحانه؛ لظهور الأدلَّةِ والبراهين على وحدانيَّتِهِ؛ شرعَ في ذكرِ أنواعٍ من نعمه وإحسانِه على خلقه، وصدَّرهَا بذكر ابتداء الخلق وهو مِنْ أعظم الأدلَّةِ الدَّالَّة على وحدانيَّتِهِ، وساقَهُ مساقَ الإنعامِ على العبادِ؛ لِيكون داعيًا لَهُمْ إلى توحيدِهِ ﷻ مِنْ حيث دلالَتُهُ على عظمةِ الخالقِ وكمالِ قدرتِهِ، ودلالَتُهُ على إحسانِه إلى عبادِهِ، مع ما جُبِلَت عَلَيْهِ القلوبُ مِنْ حُبِّ مَن أحسنَ إِلَيْهَا[1].

ثُمَّ إنَّ المذكور في الآية قبلُ ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ هو ابتداءٌ بِسَرْدِ النِّعَمِ؛ فذَكَرَ النِّعَمَ التي عمَّت جميعَ المكلَّفين؛ وهي نعمةُ الإحياء، ثُمَّ أعقبها في الآية بعدَهَا بنعمة خلقِ السَّماوات والأرض، وفي ذلك ترتيبٌ بديعٌ؛ فإنَّ الانتفاعَ بالسَّماوات والأرض لا يكون إلَّا بعد حصول الحياة[2]، فهو من قبيل تقديم الغايةِ على الوسيلة.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾: لِفعل (اسْتَوَى) معانٍ متعدّدةٌ، ويُستعمل لازمًا، ومتعدّيًا بالحرف.

فمِنَ الأوَّل قولُهم: اسْتَوَى الشَّيءُ؛ إذا اعتدل، واستوى الرَّجلُ؛ إذا انتهى شبابُهُ[3]، ومِنْهُ قول اللّٰه تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾ [القصص: 14].

ومِنَ الثَّاني قولهم: اسْتَوَى على الشَّيء؛ إذا علَا عَلَيْهِ وارتفع[4]، ومِنْهُ قول اللّٰه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/219-220.
(2) الرَّازيّ، التّفسير الكبير: 2/379.
(3) الجوهريّ، الصِّحاح: (سوا)، والزَّبيديّ، تاج العروس: (سوو).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سوي).

2) ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: سوَّى الشَّيءَ تسويةً؛ أي: جعله سويّا، ومِنْهُ قوله سبحانه: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾[1]؛ أي: هيَّأهُنَّ وخلقَهُنَّ ودبَّرهنَّ وقوَّمَهُنَّ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

اللّهُ ﷻ وحده الّذي خلق لأجلكم كلَّ ما في الأرض ممَّا يُنتفَعُ به، ثُمَّ استوى على العرش سبحانه استواءً يليق بجلاله وعظمته، فصيَّرها سبع سماوات، وعِلْمُه سبحانه محيطٌ بكلِّ شيءٍ لا تخفى عَلَيْهِ خافيةٌ[3].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ الفصْلِ بين الجملِ:

التَّنوُّعُ في توجيهِ الـفَـصْـلِ بَـيْنَ الجُمَلِ بناءً على تعدُّدِ المعاني

للفصلِ بين الجملِ مقصدٌ بلاغيٌّ بديع، وقد جاء قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ مفصولًا عمَّا قبلَهُ؛ لكمال الاتِّصالِ بينهما، وذلك لأوجهٍ، وهي:

الأوَّل: كونُ الجملةِ تفسيرًا ودليلًا على الجملة قبلها وهي قولُ اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، فالدَّليلُ عَلَى رجوعِهم إلى اللّه تعالى أنَّه هو الذي خَلَقَ ما في الأرضِ جميعًا، ومَن قَدِرَ على خلق الجميعِ ابتداءً لا يَعْجِز عَنْ إعادتهم ثانيًا[4].

الثَّاني: كونُ الجملةِ تأكيدًا لِلإِنْكَارِ المستفادِ مِنَ الاستفهامِ السَّابقِ في قولِه: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ فإنَّهما متَّحدانِ في القصدِ وإن تغايَر سَبْكُهُمَا إيماءً لِما بينهما مِنَ التَّفاوُتِ؛ إِذْ ما يتعلَّق بذواتهم أقوى في الحثِّ على الإيمان والإقلاع عَنِ الكفر مِمَّا يتعلَّق بمعايشهم[5].

---

(1) الزَّبيديّ، تاج العروس: (سوو).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 1/431.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 1/418-424، والسّيوطيّ، تفسير الجلالين، ص: 8، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 1/282، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 5.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/89.

(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/78.

الثَّالث: أن يكونَ قولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ بمنزلةِ النَّتيجةِ لِما قبلهُ[1].

الرَّابع: التَّنبيهُ على الاِسْتِقْلَالِ بالإفادة؛ إِذْ لو عُطِفَ لَتُوُهِّم أَنَّ الدَّليل هو مجموع الأمرين، ولكن بترك العطفِ عُلِمَ أَنَّ كلّا مِنْهُمَا دليلٌ مستقلٌّ برأسِه[2].

فائدةُ القَصْرِ الحَقِيقِيِّ:

تَنْزِيلُ المُشْرِكِينَ مَنْزِلَةَ الجُهَّالِ؛ لِعَدَمِ جَرَيَانِهِمْ وَفْقَ مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُمْ

لا يُنكرُ الجاهليُّون أنَّ الله تعالى هو خالقُ السَّماواتِ والأرض، لكنَّهم خُوطِبُوا بأسلوبِ القَصْرِ تنزيلًا لَهُمْ منزلةَ الجُهَّالِ؛ "لأنَّهم في كُفْرِهم وانصرافِهم عَنْ شُكْرِه والنَّظرِ في دعوته وعبادته كحال مَنْ يجهل أَنَّ الله خالقُ جميع الموجودات"[3]، والقَصْرُ في قولِه سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ قصرُ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا حقيقيّا.

ذِكْرُ (لَكُم) أفادَ الإيجازَ، وتَقْدِيمُه أفادَ التَّشْوِيقَ وَتَعْجِيلَ المَسَرَّةِ

لذكرِ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَكُم﴾ وتقديمِه فائدةٌ عظيمةٌ، أمَّا ذكرُه فهو: "التَّذكير بأَنَّ الله هو خالقُ الأرض وما عَلَيْهَا وما في داخِلِها، وأَنَّ ذلك كُلَّه خَلَقَه بقَدْرِ انتفاعِنا بِهَا وبما فِيهَا، في مُخْتَلِف الأزمان والأحوال، فأوجَزَ الكلامَ إيجازًا بديعًا بإقحام قوله: ﴿لَكُم﴾ فأَغْنَى عَن جُملة كاملةٍ"[4].

وأمَّا تقديمهُ على المفعول، إذِ الظَّاهر: (خلق مَا في الأرض جميعًا لكم)؛ فلقصد تعجيل المسَرَّة ببَيان أنَّه نافع لِلْمُخَاطبين، وللتَّشْوِيق إِلَيْهِ[5].

فائدةُ التَّرقي الرُّتبيّ:

الانتقالُ مِنَ الأَدْنَى إِلَى الأَعْلَى، للتَّنبيهِ بالمعلومِ عَلَى المجهولِ من قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى

الانتقالُ مِنَ الاستدلالِ بخلْقِ الأرضِ إلى الاستدلالِ بِمَا هو أعظمُ مِنْ ذلك في قولِه سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/217.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/217.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 1/379.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 1/379.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/78.

﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾، ترقٍّ رُتَبيّ، فإنَّ العطفَ بـ "ثُمَّ" يُشيرُ إلى أنَّ المعطوفَ بها أعرَقُ في المعنى، "حتَّى كأنَّ العقل يتمهَّل في الوصول إلَيْهِ بعد الكلام الأوَّل فيَنْتَبِهُ السَّامع لذلك؛ كَيْ لا يغفل عَنْهُ بمَا سمِع مِنَ الكلام السَّابق"[1]، وهو يُنبئ عن عظيم قدرةِ الله تعالى في خلقه[2]؛ فإنَّ التَّرقي في درجاتِ الخَلْقِ دليلٌ على عظيمِ قدرةِ الخالقِ سبحانه وجهلِ المخاطَبِ بذلك؛ فكان التَّرقي تنبيهًا على المجهولِ بالمعلوم.

تَضْمِينُ الفِعْلِ ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ مَعْنَى (قَصَدَ) مَعَ بَقَاءِ دلالة العُلُوِّ فِيهِ:

ويَحتمل أن يكون في قولِه ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ إيجَازٌ بِالتَّضمين، والمعنى: ثُمَّ عَلَا على السَّماء وقصدَ إليهَا، فحُذفَ الفعلُ (قَصَدَ)، وجُعِلَ حرفُ الجرِّ (إِلَى) دليلًا عَلَيْهِ.

فَلَا يكون بهذا التَّخريج قد نَفَيْنَا الدّلالة المنقولة عنِ السَّلف في معنى (ٱسۡتَوَىٰٓ) وهي: علَا، ولم نَعْدِلِ بدلالة (إِلَى) عَن غيرِ معناها، وقد أشار إلَى التَّضمين ابنُ كثيرٍ؛ فقد قال: "والاستواءُ هاهنا تضمَّن معنى القصد والإقبال؛ لأنَّه عُدِّي بـ ﴿إِلَى﴾"[3].

معنى اللَّام في كلمة: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

حرفُ اللَّام في ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ يُراد به الجنسُ؛ فهو في المعنى جَمْعٌ وإن كان لفظُهُ لفظَ المفرد، والدَّليل على إرادةِ الجنسِ قوله بعدُ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؛ فأرجع الضَّميرَ عَلَيْهَا بالجمع[4]، وهذا معنى قولِ الزَّجَّاج: "والسَّماءُ لفظُها لفظُ الواحد، ومعناها معنى الجَمْعِ"[5].

بلاغةُ الفاصلةِ:

في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ تذييلٌ لِما قبلَهُ[6]؛ فإنَّ ما سبقَ لا يَصْدُرُ إلَّا عن عليم؛ ففيه تعريضٌ بإنكارِ كُفْرِ مَن كفَرَ؛ لكون العليمِ بكلِّ شيءٍ مِمَّا يقبُحُ الكفرُ به[7]، وقد أُكِّدَ ذلك من أوجهٍ ثلاثةٍ[8]:

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/382.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/382.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/213.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/385.
(5) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/107.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/78-79.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/386.
(8) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/191-192.

أحدها: اسميَّةُ الجملةِ الدَّالَّةُ على دوام العلمِ وثباتِه.

ثانيها: ذكرُ الإحاطة التَّامَّةِ؛ وذلك في قولِه: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ فإنَّ (كُلّ) من ألفاظ العموم، وإضافتها إلى شيءٍ أفاد استقصاءً شاملًا لكلِّ ما يَصِحُّ أن يُطلَقُ عليه لفظُ شيءٍ.

ثالثُها: ختمُ الجملة باسمِ العليم؛ وهو على زِنَةٍ مِن أوزانِ المبالغَةِ، فيه مبالغةٌ من جهة الصيغةِ.

فاجتمع في الفاصلةِ بلاغةٌ عاليةٌ من جهةِ التَّركيب، واللفظِ، والصِّيغة، والسِّياق، وهذا من بليغِ الفاصلة في القرآن الكريمِ، إذ أكَّدت بمجموعها المعنى الكامنَ الظاهر في الآيةِ.

اجتمَعَ في الفاصلةِ بلاغةٌ عاليةٌ من جهةِ التَّركيب، واللَّفظِ، والصِّيغة، والسِّياق

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»